قتل النساء في الإعلام الفلسطينيّ داخل إسرائيل

صبحي خطيب*

لا يمكن الحديث عن ظاهرة قتل النساء في المجتمع الفلسطينيّ داخل إسرائيل دون التطرّق إلى دَوْر الإعلام وتأثيره على تأطير وصياغة هذه الظاهرة. هذا التأطير وهذه الصياغة يتجلّيان في التسميات التي تُستخدَم أثناء التغطية الصحفيّة لحدث قتل امرأة.

تحاول هذه الورقة تحليل كيفيّة تأثير النظام الأبويّ للمجتمع الفلسطينيّ، والنظام الكولونياليّ الصهيونيّ، على الإعلام الفلسطينيّ داخل إسرائيل، ممّا يساهم في تشييد واقع المرأة الفلسطينيّة المواطنة في إسرائيل. الادّعاء الأساسيّ هو أنّ للإعلام الفلسطينيّ داخل إسرائيل دورًا أساسيًا وقدرة على تغيير واقع النساء بعامّة، وواقع قتل النساء بخاصّة، إذا تحرّر من الخطاب الأبويّ والاستعماريّ خلال تغطيته لحدث قتل امرأة أو فتاة.

أثبت الإعلام في السنوات الأخيرة قدرته على دفع عجلة التغيير وتسريع وتيرتها، من خلال المواضيع المطروحة والمصطلحات التي يجري استخدامها لإيصال الحقيقة. وكما ورد على لسان جون بيلجر: "ليس كافيًا أن يرى الصحفيّون والصحفيّات أنفسهم مجرّد رُسُل، بدون فهم الأجِنْدات الخفيّة لرسائلهم".[1] فالصحافة تتعدّى فكرة نقل الحدث، لأنّ كيفيّة النقل تعكس الخطاب المستعمل أثناء التعامل مع الحدث. كثيرًا ما تُحدِّد المواضيعُ والمصطلحات التي يتبنّاها الإعلام الأجِنْداتِ المطروحةَ

[1] Pilger, J. (2010) *Hidden Agendas.* Random House

للنقاش، أو كما عبّر عنها ماكسويل أمكامب: "الإعلام يجبرنا على الانتباه لمواضيع معيّنة، ويبني الصور حول الشخصيّات السياسيّة. الإعلام يقدّم على نحوٍ دائمٍ المواضيعَ مقترِحًا كيف على الأفراد أن يفكّروا بها، وأن يعرفوا عنها، وأن يشعروا نحوها".[2]

دور الإعلام الفلسطينيّ لا يختلف جوهرًا عن دور الإعلام عالميًا، لكن ما يميّزه هو كونه إعلامَ أقلّيّة يخضع لرقابة نظام كولونياليّ. تاريخيًا، الإعلام الفلسطينيّ بُتِرَ مع بداية النكبة سنة 1948 كسائر أوْجُهِ الحياة الثقافيّة، وانحصر في صحيفة "الاتّحاد" حتى أواخر ثمانينيّات القرن الماضي، وسيلةً إعلاميّة وحيدة غير مؤسّساتيّة. عندها، بدأ الإعلام التجاريّ في النموّ حتى أصبح هو الإعلام الرئيسيّ. عدم وجود محطّة إذاعيّة حتّى عام 1997، وعدم وجود قناة تلفزيونيّة حتّى العام 2012، عزّزا دورَ الصحافة التي يتصفّحها أكثر من نصف الفلسطينيّين في إسرائيل أسبوعيًا[3]، قرابة نصفهم من النساء. رغم ذلك، حضور وتمثيل النساء اقتصر على فكر أبويّ يرى في المرأة أمًّ وربّة منزل وزوجةً.

أحد المعطيات المثيرة للقلق هو خطاب حقوق الإنسان المنعدم تقريبًا في اللغة الصحفيّة الفلسطينيّة المعتمَدة؛ فمن أصل 508 أخبار وتقارير تناولتها أربع صحف تجاريّة في ثلاثة أيّام مختلفة، كان عدد الأخبار والتقارير التي تناولت حقوق المرأة كموضوع 15 تقريرًا وخبرًا، من بينها تقرير واحد فقط ذكر كلمة "حقّ". عشرة من بين هذه الخمسة عشر تقريرًا نُشِرت في أعداد الصحف الصادرة في يوم المرأة العالميّ.[4] هذه الأرقام تعكس حالة التغييب للنساء، هذا التهميش الإعلاميّ ليس من قبيل المصادفة، وإنّما هو مرآة تعكس واقع تهميش النساء في الحيزّين العامّ والخاصّ.

---

[2] McCombs, M. and Shaw, D.L. (1972). The agenda setting function of mass media. *Public Opinion Quarterly, 36, 176-185*

[3] بشير، ن. الشيخ أحمد، أ. وروحانا، ع. (2011). الفلسطينيّون في إسرائيل - المسح الإجتماعيّ الاقتصاديّ، النتائج الأساسيّة، جمعيّة الجليل.

[4] هذه النتائج ضمن بحث أجريته ضمن رسالة الماجستير.

أشارت الأبحاث التي أُجرِيَتْ في العَقد الأوّل من هذا القرن أنّ موضوع العنف هو الموضوع الرئيسيّ الذي يحظى بتغطية الصحف الفلسطينيّة في إسرائيل. هذا المعطى يعكس حالة التفكّك وانعدام الأمن أو أيّ منظ ومة قانونيّة تؤمّن حياة الأفراد. نتيجة لذلك، نسبة وشدّة العنف الموجّه إلى الفئة المستضعفة في المجتمع (المرأة) يزداد.[5] نصف الأخبار التي كان موضوعها الرئيسيّ المرأة الفلسطينيّة كان مصدرها الشرطة؛ وهو ما يعني أنّ الشرطة هي من تصوغ غالبيّة التقارير الإعلاميّة عن العنف الموجّه ضدّ المرأة الفلسطينيّة.[6] هذه الصياغات ذات صبغة استعلائيّة استشراقيّة تتعامل مع العنف ضدّ النساء على أنّه ظاهرة مجتمعيّة وثقافيّة لا تمتّ بِصلة للحالة السياسيّة والاقتصاديّة التي يعيش في ظلّها النساء والرجال الفلسطينيّون/ات. وكمثلها تمامًا تقارير الصحافة الفلسطينيّة. ففي حالة اللدّ والرملة، على سبيل المثال، كلّما قُتلت فتاة أو امرأة (حتّى نهاية سنة 2011 وبدايات سنة 2012) عَزا الإعلام والشرطة الاسرائيليّة فعْل القتل إلى "شرف العائلة" حتّى قبل الشروع في التحقيق، متغاضين عن مسؤوليّتهم في تفشّي العنف والمخدّرات والتجارة الحرّة بالأسلحة في هاتين المدينتين. عَزْوُ القتل إلى الشرف يرمي إلى التخلّي عن النساء والتحرّر من المسؤوليّة القانونيّة تجاههنّ.

في ما يتعلّق بالصحافة الفلسطينيّة المحلّيّة، على الرغم من أنّ نسبة العنف العالية موجّهة ضدّ النساء، يحتلّ هذا العنف نسبة ضئيلة من الأخبار ا لتي تغطّيها هذه الصحافة. وتقتصر على تقارير تتناول العنف في أقصى وأبشع حالته: القتل.[7] هذه التغطية تتناقض تمامًا مع الهدف الأساسيّ والإنسانيّ للصحافة (التي من المفترَض أن تكون صوتَ مَنْ لا صوت له/ا).

في السنتين الأخيرتين، ومن خلال ضغط الجمعيّات الحقوقيّة والنسويّة الفلسطينيّة على الإعلام والشرطة الاسرائيليّيْن، تَوقَّف هذا الإعلام عن تسمية القتل قتلاً على "خلفيّة شرف العائلة". أمّا

[5] جمّال أ. وبصول، س. (2012). هامشيّة خطاب حقوق الإنسان في الصحف العربيّة المحلّيّة، مركز إعلام.
[6] بحث أجريته ضم ن رسالة الماجستير تحت عنوان: "لغة حقوق الإنسان في الصحافة الفلسطينيّة في إسرائيل" (2013).
[7] المصدران السابقان.

الصحافة الفلسطينيّة داخل إسرائيل، فهي كالملحق أو التابع؛ تتأثر بالخطاب السائد في الصحافة الاسرائيليّة، أي هنالك حالة تقليد دائمة للتقارير الصحافيّة العبريّة. فحال الإعلام الفلسطينيّ داخل إسرائيل يمرّ في ظروف صعبة نظرًا لقلّة المهنيّين الذين يعملون في مجال الصحافة وتدهور حالة الصحفيّ الاقتصاديّة، وهما (تلك القلّة، وذاك التدهور) أمران ينعكسان سلبًا على مضمون الأخبار والتقارير.[8]

ع لى الرغم من قلّة الصحفيّين/ات الذين يَعُون أهمّيّة التسميات، ولا سيّما حين يتعلّق الأمر بحقوق الإنسان، استغرقت هذه السيرورة سنين طِوالاً حتّى أصبح المصطلح المتّبَع في أغلب وسائل الإعلام هو "قتل النساء".[9] اعتماد هذه التسمية، حتّى كتقليد من قِبل الإعلام الفلسطينيّ في إسرائيل، يدلّ على توجُّه للتغيير يجب أن تقابله بالترحيب والتشجيع الأُطُرُ النسويّة المختلفة، وكلُّ مَن يدعم ويناصر حصولَ المرأة على حقوقها وإلغاءَ التمييز الذي تعيشه.

* **صبحي خطيب** هو منسّق الإعلام والعلاقات العامّة في مركز مدى الكرمل- المركز العربي للدراسات الاجتماعيّة التطبيقيّة، حيفا.

[8] جمّال، أ. وعوايسة، ر. (2011). تحدّيات المهنة الصحفيّة: بين استقلاليّة الصحافيّين ووطأة ظروف العمل، مركز إعلام.

[9] ليس ثمّة دراسة تدعم هذا على نحوٍ إمبيريّ، لكن مقارنة الأخبار المتعلّقة بقتل النساء منذ سنوات التسعين بالأخبار نفسها في السنوات الأخيرة تكشف عن فرق واضح في التسمية.